وتحاجز الأنجاد والأغوار – من فاجىء ركضته ، واستخفاء الهند تحت جيوبها[1] عند ذكره، واقشعرارهم لهب الرياح من أرضه، وقد كان مذ لَفَظه المهد وجفاه الرضاع ، وانحلت عن لسانه عقدة الكلام ، واستغنى عن الإشارة بالإفهام ، مشغولَ اللسان بالذكر والقرآن ، مشغوف النفس بالسيف والسنان ، ممدود الهمة إلى معالي الأمور، معقود الأمنية بسياسة الجمهور، لعبه مع الأتراب جد ، وجده مستكدّ ، يألمُ لما لا يعلم حتى يقتله[2] خُبراً ، ويحزن لما يحزن حتى يدمّنه قسراً وقهراً .

وذكر إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني–المقدم ذكره–في كتابه الذي الذي سماه « مغيث الخلق في اختيار الأحق » أن السلطان محموداً المذكور كان على مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه ، وكان مولعاً بعلم الحديث ، وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه ، وهو يسمع ، وكان يستفسر الأحاديث ، فوجد أكثرها موافقاً لمذهب الشافعي رضي الله عنه ، فوقع في خلده[3] حكة ، فجمع الفقهاء من الفريقين في مَرْو ، والتمس منهم الكلام في ترجيح أحد المذهبين على الآخر ، فوقع الاتفاق على أن يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعي، رضي الله عنه ، وعلى مذهب أبي حنيفة ، رضي الله عنه، لينظر فيه السلطان ، ويتفكر ويختار ما هو أحسنها ، فصلى القفال المروزي – وقد تقدم ذكره – بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة ، وأتى بالأركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجه الكمال والتمام ، وقال : هذه صلاة لا يجوّز الإمام الشافعي دونها رضي الله عنه ، ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضي الله عنه ، فلبس جلد كلب مدبوغاً ولطخ ربعه بالنجاسة ، وتوضأ بنبيذ التمر ، وكان في صميم الصيف في المفازة ، واجتمع عليه الذباب والبعوض ، وكان وضوءه منكساً منعكساً ، ثم استقبل القبلة ، وأحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء ، وكبر بالفارسية دو بركك سبز ، ثم نقر

---

١ لي : جنودها ؛ ن ق : جيوبها .

٢ لي : يقلبه ؛ ق : يقبله .

٣ لي : جلده .

almawaddah.be

نقرتين كنقرات الديك من غير فصل ومن غير ركوع ، وتشهد ، وضرط في آخره ، من غير نية السلام ، وقال : أيها السلطان ، هذه صلاة أبي حنيفة[1] ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبي حنيفة لقتلتك ، لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين ، فأنكرت الحنفية أن تكون هذه صلاة أبي حنيفة ، فأمر القفال بإحضار كتب أبي حنيفة ، وأمر السلطان نصرانياً كاتباً يقرأ[2] المذهبين جميعاً ، فوجدت الصلاة على مذهب أبي حنيفة على ما حكاه القفال ، فأعرض السلطان عن مذهب أبي حنيفة ، وتمسك بمذهب الشافعي رضي الله عنه؛ انتهى كلام إمام الحرمين .

وكانت مناقب السلطان محمود كثيرة ، وسيرته من أحسن السير ، ومولده ليلة عاشوراء سنة إحدى وستين وثلثمائة . وتوفي في شهر ربيع الآخر ، وقيل حادي عشر صفر ، سنة إحدى ، وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة بغَزنَة ، رحمه الله تعالى .

(242) وقام بالأمر من بعده ولده محمد بوصية من أبيه ، واجتمعت عليه الكلمة ، وغمرهم بإنفاق الأموال فيهم ، وكان أخوه أبو سعيد مسعود غائباً ، فقدم نيسابور وقد استتب أمر أخيه محمد، فراسله، ومال الناس إليه لقوة نفسه وتمام[3] هيبته ، وزعم أن الإمام القادر بالله قلده خراسان ، ولقبه الناصر لدين الله وخلع عليه وطوقه سواراً ، فقوي أمره لذلك . وكان محمد هذا سيء التدبير منهمكاً في ملاذه ، فأجمع الجند على عزل محمد وتولية الملك لمسعود ، ففعلوا ذلك ، وقبضوا على محمد وحملوه إلى قلعة ووكلوا به .

(243) واستقر الملك للأمير مسعود ، وجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها . وله في ترجمة المعتمد بن عباد حكاية في المنام ، فلتنظر هناك[4] . وقتل سنة ثلاثين وأربعمائة ، واستولى على المملكة بنو سلجوق ، وقد تقدم في

---

١ في حاشية ق تعليق بغير خط الأصل في الدفاع عن مذهب أبي حنيفة .

٢ ن : فقرأ .

٣ ن ر ق : في تمام .

٤ لم يرد شيء من ذلك في ترجمة المعتمد .

almawaddah.be